المبحث الخامس:
ميادين التربية الإسلامية (المؤسسات التربوية)

يقول الشاعر:
الأم مدرســـة إذا أعـددتـهـا
أعددت شعبًا طيب الأعراق
ويقول آخر:
بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة
وقومي وإن ضنوا عليَّ كرام.

هنـاك الكثير مـن المؤسسـات التربويـة التي تعمـل في حقل التربية الإسلامية، وعن طريقها يستطيع القائمون عليها أن يغرسوا فـي نفـوس الأولاد والشـباب الكثير والكثيـر من القيـم التربوية الإسـلامية، ولذا رأينا من المفيد أن نتعرض لها بشـيء من الإيجاز، مـع التركيز علـى دور كل منها في تربية أولادنـا في كافة جوانب شخصيته.

أولًا: البيت (الأسرة):

الأسـرة هي وحدة بناء المجتمع وهي اللبنـة الأولى فيه، وتعتبر الأسـرة المحضـن الأول والمؤسسـة التربويـة الأولـى فـي حيـاة الإنسان؛ ففيها يتلقى الطفل أول نسمة من نسمات الحب التي ينفتح لها قلبـه الصغير من صـدر الأم الدافـئ، وبين ذراعيهـا الحانيتين يحـس بالأمن والراحة، ويفتح عينيه مطمئنًا إلى عالمه الصغير، ثم يكبر قليلًا ويتطلع إلى أبيه وأقاربه.. لذلك يحرص الإسـلام حرصًا شديدًا على كيان الأسرة، ويقيم فكرته كلها - الروحية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية - على تخصيص الأم لمهمتها الخطيرة في تكوين البشرية؛ لأنه يريد للناس أن ينشأوا متوازنين..

ولكـن المدنية الحديثـة الحمقاء - التي أطار صوابها الكسـب المـادي والإنتـاج الآلي - قد نزعـت الأم من طفلها المتشـبث بها،

المتطلع إليها؛ لتضعها في المصنع والمتجر والطريق، وسمّت ذلك تحريرًا للمرأة، ولا جرم أن يكون ذلك تحريرًا للبشرية من عنصر الإنسانية، والمحاضن التي يُلهون بها الأطفال لن تكون إلا منابت الشوك الذي يمزق غدًا أجيال البشرية.

ويتلخص الدور التربوي للأسرة فيما يلي:

١. ينال الفرد فيها أول مقومات النمو الجسمي والصحي.

٢. ينال فيها الفرد المبادئ الأساسية للإسلام، ولنا في وصية لقمان أسوة حسنة:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٧ : ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣٢].

٣. يتعلم الفرد فيها اللغة والتعبير وطريقة الكلام؛ فالطفل يتكلم لغة أمه، فإن كانت صحيحة فلغته صحيحة.

٤. يستقي منها عاداته وأخلاقه وطباعه؛ فالإنسان مرآه لبيته وبيئته.

٥. يتعلم كافة المعاني السامية، العطف، الحب، التعاون، التضحية، احترام الآخرين، تحمل المسئولية.. الخ.

يقول الرسول ﷺ: «ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[١].

وفي التأكيد على دور الأسرة يقول القابسي: «فمن رغب إلى الله أن يجعل له من ذريته قرة عين، لم يبخل على ولده بما ينفق عليه في تعليمه القرآن؛ فلعل الوالد إذا أنفق ماله عليه في تعليمه القرآن أن يكون عمل عملًا يرجى له من تضعيف الأجر فيه»[٢].

وقد أثبت علماء النفس أن ما يلاقيه الطفل من المعاملات في السنوات الأولى سيستمر صداه في نفسه طوال حياته.

ثانيًا: المدرسة:

المدرسة هي مؤسسة تعليمية أنشأها المجتمع لتقوم بدور كبير في تنشئة الصغار تنشئة سلوكية سليمة ليشبوا أفرادًا صالحين، وللمدرسة دور أساسي في التربية الإسلامية؛ حيث يتربى فيها الولد على القيم الإسلامية ويتعلم تعاليم الإسلام الحنيف.

ويبدأ ميدان المدرسة بالروضة (الحضانة) وينتهي بالجامعة بخلاف الدراسات المتخصصة.

ويتلخص الدور التربوي للمدرسة فيما يلي:

١. الاهتمام بنمو الفرد من جميع جوانب شخصيته، عقليًا،

(١) رواه ابن ماجة

(٢) التربية الإسلامية للطفل والمراهق صـ١١٥

جسمانيًا، روحيًا، نفسياً.. الخ.

٢. تزويد الفرد بالخبرات والمهارات اللازمة لإدماجه في المجتمع، و إعداده ليقوم بدور بنّاء في المجتمع.

٣. تنشئة الولد دينيًا.

٤. تنشئة الولد وطنيًا.

٥. إنجاب جيل من النوابغ والقيادات والموهوبين.

ثالثًا: المجتمع:

المجتمع هو البناء المتكامل الذي يضم الأسر والأفراد، وتعتبر المدرسة هي حلقة الوصل بين البيت والمجتمع الكبير الذي يعيش و يتحرك فيه الإنسان، و يتفاعل فيه مع غيره من الناس، و يؤثر فيهم و يتأثر بهم.

والتربية من خلال المجتمع من أقوى أنواع التربية وأكثرها تأثيرًا في الناس، وأعمقها وأجدرها بالقبول عندهم؛ لما لها من وسائل كثيرة كالصحافة والإذاعة والتليفزيون وغيرها.

وكيف يستقيم دور الأسرة والمدرسة في البناء إذا كان المجتمع يهدم كل ذلك.

فلن يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

فإذا كان المجتمع صالحًا جعل أبناءه صالحين، و إذا أصبح الفرد صالحًا وصار عالمًا فاضلًا فإنه يسهم في رقي مجتمعه ونهضته، و يعمل على إصلاح أفراده وتربيتهم.

والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر هما دعامتان أساسـيتان في القضاء على عوامل الفساد وتهيئة أسباب النجاح للمجتمع، وفي محاربـة الرذيلة ونشـر الفضيلة كي ينهض المجتمـع، ويقوم بهذه المهمة كل مؤمن ومؤمنة.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

رابعًا: المسجد:

المساجد بيوت الله ورياض الجنة وأقدس الأماكن، يستضيف فيها المولى عز وجل المسلمين خمس مرات في اليوم والليلة لأداء الصلوات فيتعارفون ويتحابون، وللمسـجد دور أساسـي فـي العملية التربوية، ولقـد كان المسـجد النبوي مدرسـة التربيـة الإسـلامية الأولى ودار الدولة الإسـلامية الكبرى؛ فهو مقر القيادة ومجلس الشورى وموضع عقد الرايـات، هكذا كان المسـجد مركزًا للإشـعاع الديني ومنتدى للثقافة والتربية.

ومن فوائد التربية في المسجد:[1]

١ - الطهارة النفسية في المسجد:

فعندما يدخل المسـلم بيت الله فإنه يشـعر بالطمأنينة والراحة

(١) المسجد ودوره التعليمي عبر العصور، أ/ عبد الله قاسم الوشلي - دار التوزيع والنشر

النفسية التي تخلصه من كل السلوكيات المنحرفة التي قد اجترحها قبل دخوله لذلك المكان.

فيكون بذلك مهيئًا لاستقبال المعلومات التي تعرض عليه في هذا المكان الطاهر، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: «المسجد بيت كل تقي وتكفل الله لمن كان في المسجد بيته بالروح والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة»[1].

٢ - انتقاء الكلام:

ففي المسجد ينتقي المسلم أطيب الكلام خشية الوقوع في المعصية وهو في بيت الله، ولهذا عند القيام بالتعليم في المسجد فإننا نحجب الكلمات الموحشة والسوقية وتبقى الكلمات التربوية والإيمانية الإيجابية المؤثرة في سلوكيات المتعلم.

٣ - إضفاء الاحترام في المسجد:

للمسجد مكانة خاصة في نفوس المسلمين، وعند دخوله ينتاب المسلم شعور خاص، وهذا الشعور هو الأدب المطلق في بيت الله تعالى، وعندما يضفي على المتعلم هذا الأدب فإن المسيرة التعليمية والتربوية تأخذ مبدأها الصحيح المحقق للأهداف التعليمية دون وجود عوائق أدبية بين المعلم والمتعلم.

٤ - إحفاف الملائكة ونزول السكينة والرحمة:

كما قال الرسول ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله

(١) رواه الطبراني والبزار بسند صحيح عن أبي الدرداء «رضي الله عنه»

يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[1].

٥ - عدم الغضب وخفض الصوت في المسجد:

من المساوئ المتزامنة في العملية التعليمية هي الغضب ورفع الصوت عند اختلاف وجهات النظر بين المعلم والمتعلم، وكثيرًا ما يحدث ذلك في مدارسنا وجامعاتنا، لكن هيبة المسجد في نفس المعلم والمتعلم تجعلهما لا يرفعان أصواتهما.

ويتلخص دور المسجد التربوي فيما يلي:

١. فيه يتلقى الأفراد الزاد الكافي من العلوم الشرعية عن طريق الدروس، والخطب والمواعظ، وكذلك المناسبات الدينية المختلفة، ويقول أ/ سعيد حوى: (إن التربية والتعليم في أجواء المسجد لا يعدل بها شيء آخر، وخريجو المساجد غير خريجي غيره في العلم والتقوى والتطبيق والسلوك وغيره)[2].

٢. وفيه الثقافة الذاتية عن طريق مكتبة الكتب والشرائط في المسجد.

٣. وفيه يُغرس في نفوس النشء الفضائل والآداب منذ نعومة أظفارهم؛ ففي المسجد عليه أن يتحلى بالسكينة والوقار، ويمتنع عن اللغط ورفع الصوت، ويتعلم احترام الآخرين... الخ.

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

(٢) التربية الروحية، أ/ سعيد حوى

٤. وللمسجد آثار تربوية اجتماعية تنشأ من التقاء المسلمين بعضهم ببعض، وقيامهم إلى الصلاة ووقوفهم في صفوف منتظمة؛ فيتعلمون النظام والدقة والاستواء.

فتصقل شخصية المسلم، ويزول عنها ما يحتمل أن يكون قد علق بها من عيوب اجتماعية كالانعزالية والتواكلية والأنانية ... الخ.

ويتحدث الأستاذ/ عبد الله قاسم عن المسجد النموذجي في عصرنا الحالي فيقول[1]:

والمسجد النموذجي هو الذي تجتمع فيه الخصال الآتية:

١. أن يكون بناؤه محكمًا تتوفر فيه الإضاءة الجيدة والتهوية، وأن يلحق به مكان للنساء، وأن تتكامل مرافقه الضرورية للنظافة والطهارة (الحمامات – أماكن الوضوء .. الخ).

٢. أن يلحق به مرافق تربوية وثقافية، وكذلك مرافق اجتماعية لخدمة الأمة والمجتمع مثل:

- مكتبة عامة– مزودة بكل ما هو نافع ومفيد – كتب وشرائط كاسيت وفيديو.
- قاعة مطالعة مؤسسة تأسيسًا لائقًا.
- قاعة محاضرات واجتماعات – دار مناسبات – للعزاء والأفراح.. الخ.
- مصحة تؤسس للخدمات الصحية للعلاج المخفض.

(١) المسجد ودوره التعليمي عبر العصور

- مركز إرشاد واستشارة: زراعي، مهني، وخدمي، ويُزود بالمتخصصين.
- حديقة حوله ليمرح فيها الأطفال وتربطهم بالمسجد.
- مكان ضيافة للغريب النائي.
- مدرسة لتحفيظ القرآن للصغار (بنات وبنين)، وكذا لا مانع من فتح فصول تقوية.
- مساكن لطلاب العلم المنقطعين.

٣. أن يوفر له الآتي[١]:

- إمام حافظ لكتاب الله مجيد لتلاوته ليؤم الناس في الصلاة.
- خطيب شجاع عالم.
- مؤذن حسن الصوت.
- رجال يقومون على نظافته.
- تزويد المستشفى بالأطباء الأكفاء، وفصول التقوية بالمدرسين.

٤. أن يقوم على إدارته مجلس إدارة كفء يستطيع تنظيم هذه الأعمال والرقي بها وقيادتها للأحسن دائمًا.

وبهذه الإمكانيات الرائعة للمسجد يكون له أثره وجاذبيته في نفوس الشباب والفتيات؛ فينجذبون له، وينهلون من معينه الصافي بروحهم، راغبين في تفهم دينهم وإصلاح دنياهم وآخرتهم.

(١) المسجد ودوره التعليمي - عبد الله قاسم الوشلي - ص ٩٤، ٩٥

خامسًا: النادي:

لقد كثرت النوادي في عصرنا الحالي نتيجة لكثرة الضغوط النفسية، وحاجة الإنسان إلى مكان يستريح فيه، ويمارس فيه رياضته المفضلة.

وللنادي دوره في التربية الجسمية للنشء، وعن طريقه يستطيع النشء أن يتعلم الكثير من الأخلاق الإسلامية عن طريق الألعاب الرياضية، وكذلك يمكن افتتاح فصول لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية لرواد النادي وأبنائهم؛ وبذلك يكون للنادي دوره في التربية الروحية والجسمية للأولاد.

كذلك عن طريق المناسبات الدينية المختلفة يستطيع النادي أن يقدم الدروس والعبر الدينية المستفادة من هذا المناسبات، كما أنه من الممكن أن ينظم العديد من المسابقات في القرآن الكريم، الحديث الشريف، البحوث المختلفة مع تقديم جوائز رمزية.

سادسًا: الرفاق:

تتم العملية التربوية بين الأصدقاء بطريق غير مباشر وغير مقصود.

فلتقارب السن بين الرفقاء يكسب كل منهم الصفات والأخلاق (سلبًا أو إيجابًا) بعضهم من بعض، ولذا نجد الإسلام عني بهذه الصلات التي تربط الفرد بأشخاص يؤثرون فيه ويتأثرون به؛ فنجد القرآن يركز على هذا المعنى فيقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ

يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيٰ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ -٢٩]

ويقول الرسول ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

وكما يُقال: «الطبع من الطبع يسرق» وما أسرع تخلق الإنسان بخلق صاحبه؛ فعلى الآباء والمربين أن يتخيروا لأبنائهم الأصحاب الأتقياء الذين يؤثرون فيهم بالخير.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

سابعًا: الجمعيات:

تعتبر الجمعيات الأهلية ميدان هام من ميادين التربية، وقد تتنوع هذه الجمعيات تبعًا للهدف الذي من أجله أنشئت؛ فهذه جمعية رياضية وأخرى ثقافية وثالثة اجتماعية ورابعة خيرية.. الخ).

وهذه الجمعيات تستطيع أن تسهم بدور فعّال في عملية التربية الإسلامية عن طريق ربط أهدافها وأنشطتها بالإسلام، والتزام المسئولين عنها بالدين الصحيح؛ فيصبحون قدوة لسائر من يتردد على هذه الجمعية.

(١) رواه أبو داود عن أبي هريرة «رضي الله عنه»

ثامنًا: الكشافة والجوالة:

وفيها يتلقى الولد الكثير من المبادئ الإسلامية كالانضباط والنظام وضبط الموعد والسمع والطاعة والجندية، كما أن فيها ترفيهًا بريئًا يقضي فيه الطالب وقتًا نافعًا مفيدًا بجانب الترويح النفسي، وحبذا لو أنشئ في كل مدرسة عشيرة للجوالة أو الكشافة ينتمي إليها طلاب المدرسة.

وبعد أن طوّفنا بالميادين التي تتم فيها التربية لا بد لنا من معرفة مجالات التربية الإسلامية.